المبحث الثاني: الأصول الاعتقادية للاقتصاد الاسلامي

- لكل نظام اقتصادي أصوله وقواعده الفكرية التي يؤمن بها وينطلق منها في رسم أنظمته وسياساته الاقتصادية.
- وإذا كان النظامان الرأسمالي والاشتراكي ينطلقان من قاعدة اعتقادية واحدة هي (المادية) او (تقديس المال) فإن النظام الاقتصادي الإسلامي يختلف عنهما في الوجهة حيث يقيم أصوله الفكرية على قاعده أعظم وأهم بل هي الأصل لكل جوانب الحياة الأ وهي قاعدة الإيمان.
- ارتباط الاقتصاد الاسلامي بالعقيدة يظهر في علاقته المباشرة بأركان الايمان وخاصة (الايمان بالله) و (الايمان باليوم الاخر والايمان بالقدر خيره وشره) وسنبين هذه الاصول الثلاثة ثم نبين بعض المبادئ الاعتقادية المتفرعة عنها.

الأصل الأول: الإيمان بالله:

- ان اهم ما يقوم علية الاقتصاد الاسلامي عقيدة الإيمان بالله والتي تتضمن التوحيد بأنواعه الثلاثة (توحيد الربوبية – والألوهية – والأسماء والصفات) وخاصة النوعيين الأوليين.

اولاً: توحيد الربوبية:

- يظهر ارتباط الاقتصاد الإسلامي بتوحيد الربوبية من خلال الإيمان بان الله هو الخالق، المالك، الغني، الرازق.

١) فالله سبحانه وتعالى خالق كل شيء كما قال عن نفسه (ذلكم اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ) {غافر:٦٢}

- وقد امتن علينا سبحانه بأن خلق لنا ما في الأرض وأوجد لنا فيها النعم الظاهرة والباطنة. قال تعالى (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا) { البقرة : ٢٩ }

٢) إذا كان الله سبحانه هو خالق كل شيء فإن هذا يستتبع أنه المالك لكل ما خلق وهو كل شيء موجود في هذا الوجود، قال تعالى (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) {آل عمران:٢٦}

٣) وهو سبحانه غني كريم كما قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) {فاطر:١٥} فهو غني عن خلقه لم يخلقهم طمعاً فيما عندهم – كيف وهو الذي خلقة لهم ورزقهم إياه – وانما خلقهم لعبادته كما قال تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (57)إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) {الذريات ٥٦-٥٨}

٤) الرازق هو الله: إن مصدر الرزق من عند الله، فهو سبحانه: (الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) {الذريات:٥٨} خلقنا ولم يتركنا بل تفضل علينا فرزقنا وهو سبحانه يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر الرزق عمن يشاء: (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) {العنكبوت:٦٢}

- فالإنسان قد كُتب مقدار رزقه قبل ان يوجد على الأرض كما جاء في حديث النبي ﷺ " إن الملك عندما ينفخ في الجنين يؤمر بأربع كلمات بكتابة رزقة، وأجله، وعملة، وشقي او سعيد ".

❖ ويترتب على الايمان بتوحيد الربوبية ما يلي:

١) المسلم يومن بأن المالك للأموال والخاصة هو الله سبحانه وتعالى، فالله جل وعلا هو خالق كل شيء ومالك كل شيء (الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) {الرعد :١٦}

٢) إذا كان الله قد سخر هذا الكون للإنسان فإن هذا لا يعني حصول الإنسان على الأموال والطيبات من دون جهد او عمل بل علية يعمل بقدر طاقته لأجل ان يحصل على الرزق الذي قسمه الله له، قال تعالى حاثاً على السعي في طلب الرزق (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ) {الملك:١٥}

٣) يجب على المسلم أن يستفيد مما سخر الله في هذه الأرض من الطيبات والخيرات فيأكل منها ويستخدمها فيما أباح الله مما يحقق عمارة الأرض قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ){البقرة:١٦٨}

ثانياً: توحيد الألوهية:

- إن مقتضى الإيمان بتوحيد الربوبية وأن الله هو الخالق المالك الرازق توحيده بالعبادة فلا يُسال إلا الله ولا يُطلب الرزق إلا منه جل وعلا، وقد بين ذلك سبحانه في كتابة الكريم حيث ضرب مثلاً بأنه أفضل من رزق مملوكيهم، فهل هؤلاء السادة معطوهم نصف أموالهم ليكونوا على حد المساواة معهم وإذا كان الجواب لا مع انهم بشر مثلهم فكيف يرضون أن يشركوا مع الله غيره من مخلوقاته مع أنها لم ترزقهم شيئاً وإنما الذي رزقهم هو الله وحده.

❖ ويقتضي الإيمان بتوحيد الألوهية:

١) الاعتماد على الله في طلب الرزق والالتجاء إليه وحده دون غيره من المخلوقين قال تعالى: (اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ) {الشورى:١٩} وقال ﷺ (من أصابته فاقه فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل او آجل).

٢) أن الإيمان الصادق بأن الله هو المصرف للرزق، يبعد عن الإنسان الصفات الذميمة كالحسد وبخس الناس أشياءهم.

الأصل الثاني: الإيمان باليوم الآخر:

- يدرك المسلم أن الدنيا ماهي إلا مزرعة للآخرة أن الثواب والعقاب الحقيقي في تلك الدار حيث: (تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) {البقرة:٢٨١} والدآر الأخرة ليست محلاً للتفاضل المالي، حيث لن يضر الفقير فقره وإذا كان قد قام بما أوجب الله عليه كما أن الغني لن ينفعه غناه إذا كان مقصراً في طاعة ربه.

❖ ويترتب على هذا الإيمان باليوم الأخر ما يلي:

١) يجب أن تكون همة المسلم عالية، وأن يريد ما عند الله والدار الآخرة، قال تعالى (مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ) {الشورى:٢٠}

٢) أن معيار الربح يختلف عند المسلم من غير المسلم، فغير المسلم لا يمكن أن يقدم على عمل تجاري إلا وقد غلب على ظنه أن له مردوداً مادياً، أما المسلم فأنه قد يعمل العمل الذي ليس له مردوداً مادي عن رضا وقناعه بل ويسابق الآخرين إليه وماذلك إلا لإدراكه أن جزاءه في الدار الآخرة التي هي خير وأبقى من هذه الحياة الدنيا.

٣) يجب على المسلم أن يراقب نفسه وتصرفاته فلا يأخذ إلا حقه ولا يعتدي على حق غيره وعليه أن يسارع في براءة ذمته من حقوق الآخرين، وذلك لأنه إذا لم يؤدها في الدنيا فأنه سيؤديها في الدار الآخرة، قال ﷺ (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء).

الأصل الثالث: الإيمان بالقدر خيره وشره:

- يؤمن المسلم بعقيده القضاء والقدر أن الله سبحانه قد قدر كل شيء كما قال عن نفسه: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) {القمر:٤٩}
- وقد كتب الله أرزاق بني آدم كما ورد في الحديث: (أن الملك عندما ينفخ الروح في الجنين يؤمر بأربع كلمات بكتابة رزقه، ....).

❖ ويترتب على الأيمان بالقضاء والقدر ما يلي:

١) يجب على المسلم أن يطلب الرزق من محله ويسعى في تحصيله قدر استطاعته، فكل آتيه رزقه كما كتب له، جاء في الحديث: (لا تستبطئوا فإنه لن يموت عبد حتى يبلغه آخر رزق هو له، فأجملوا في الطلب، أخذ الحلال وترك الحرام).

٢) يجب على المسلم أن يرضى بما قدر عليه ولايضجر، فإذا ربح في تجارته فإنه يشكر نعمه الله عليه، وإذا خسر او أصابته مصيبه من سرقه او حريق او غرق بضاعة او غير ذلك من الاقدار المكتوبة رضى وصبر وهذا هو سبب اطمئنان المؤمن.

▪ العبادة المرتبطة بهذه الأصول:

- من المبادئ المرتبطة بهذه الأصول الثلاثة والناتجة عن الأيمان بها مبدأ الاستخلاف ومبدأ أن المال وسيلة لطاعه الله ومبدأ كفاية الخيرات لحاجات البشر وسنبين هذا المبادئ الثلاثة:

❖ المبدأ الأول: الاستخلاف:

- إذا كان المالك للمال هو الله سبحانه وتعالى فإنه قد استخلفنا في هذه الأموال عمن كان قبلنا، وأمرنا أن نقوم بحق هذا الاستخلاف من عدم صرف المال في المحرمات أو الإسراف في المباحات كما أمرنا بإنفاق بعضه في وجوه الخير والإحسان وهذا ما نصت عليه الآية الكريمة: (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) {الحديد:٧} .

❖ المبدأ الثاني: المال وسيلة لطاعه الله:

- تتفاوت الفلسفات والأديان في نظرتها للمال تفاوتاً متبايناً، فبينما نجد الأفكار التي ترفض المال ومتع الدنيا معه تصور أنها شر يجب الخلاص منه نجد في مقابل ذلك تلك الأفكار التي تقدس المال وتجعله هو الإله الذي يجب أن يعبد.
- وبين هذين الاتجاهين المتناقضين يقف الإسلام موقف الوسط، فهو يعتد بالمال ويضع له قيمته ويعتد بمكانته في نفس الإنسان المجبول على حبه.
- ولكن الإسلام لا يغالي في مكانه المال لدرجه التقديس والعبادة بل أنه يحذر من هذا المسلك أن المال فتنه وابتلاء للإنسان.

❖ المبدأ الثالث: كفاية الخيرات لحاجات البشر:

- يقرر الإسلام أن الخيرات التي أودعها الله في هذه الأرض والتي سيودعها كافية لحاجات البشر من الغذاء والكساء والسكن وسائر الضرورات والحاجات التي يحتاج إليها الإنسان بل وكل دابة في الأرض كما قال تعالى :(وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) {العنكبوت:٦٠} وهذا من رحمته ولطفه بعباده أن قدر لهم ارزاقهم وأقواتهم وأوجدها في الأرض من المياه والمعادن والتربة والخصبة وغيرها.
- اسباب المجاعات التي تعاني منها بعض الدول، هل هم لعدم كفاية المواد الطبيعية وهو مالا يتفق مع هذا المبدأ الذي اثبتناه، ام يرجع الى اسباب اخرى؟ .
- والجواب لذلك: إن الفقر ليس في حقيقة الأمر نتيجة لقلة الثروات الطبيعية في هذه الأرض بل إننا نجد أن بعض الدول الفقيرة التي تعاني من المجاعات تمثل المصدر الرئيس للمواد الأولية وإنما توجد اسباب اخرى.

اهم هذه الأسباب ما يلي:

١) عدم استخدام الإنسان لكامل جهوده الذهنية والبدنية وقصوره في استغلال الموارد التي أنعم الله بها عليه.
٢) الكفر بنعم الله قال تعالى: (وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) {النحل:١١٢} .
٣) مبالغة البشر في حاجاتهم المادية وعدم وجود الرشد الاستهلاكي المناسب سواء على المستوى الفردي أو الإقليمي أو الدولي.
٤) اختلاف توزيع الموارد الطبيعية والكثافة السكانية على مستوى الدول.
٥) الأزمة الروحية التي يعاني منها العالم لغياب التعاليم الدينية الصحيحة عنه مما سبب التظالم بين الشعوب والمجتمعات وساعد في إيجاد الحروب التي كان لها الأثر في المآسي الإنسانية والخسائر المادية الفادحة.
٦) قد يكون هذا النقص الفردي او الدولي ابتلاء من الله كما قال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) {البقره:١٥٥} .